Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (5) 31May (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

جدلية الهوية والاختلاف في كافوريات المتنبي

مدرس مساعد: صفى خليل إبراهيم صالح الفراجي
الجامعة العراقية/كلية التربية/قسم اللغة العربية

The dialectic of identity and difference in Al-Mutanabbi's Kafouriyyat

Assistant Lecturer: Safa Khalil Ibrahim Saleh Al-Faraji
Iraqi University/College of Education/Arabic Language Department
الإيميل:khalelsafa26@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث كافوريات المتنبي كونها خطابا شعريا يبرز وعي الشاعر بنفسه وموقفه من الآخر. ويوضح كيفية تشكل الهوية من خلال الأنا المتعالية الواضحة في شعرة وموقفه من سلطة الآخر السياسية والاجتماعية وعدم تقبله لغيرة بسبب شعوره بالغرور والكبر وقد وضحنا ذلك من خلال أبياته الشعرية في نفسه أو قومه أو هجاءه لغيرة. الكلمات المفتاحية: الهوية، الاختلاف، المتنبي، كافور.

This research deals with Al-Mutanabbi's Kafouriyat as a poetic discourse that highlights the poet's self-awareness and his position toward others. He explains how identity is formed through the transcendent ego evident in his poetry, his position on the political and social authority of others, and his refusal to accept jealousy due to his feelings of arrogance and arrogance. We have explained this through his poetic verses about himself or his people, or his satire of jealousy. Keywords: identity - difference - Al-Mutanabbi - Camphor

المقدمة:

تعد كافوريات المتنبي من النصوص الشعرية المهمة في الأدب العربي لما تحمله من معاني حادة وتوتر بين ذات الشاعر والآخر المختلف، فالكافوريات هي بمثابة مدح مُبطن فالبيت الشعري يصلح أن يكون مدح وهجاء في أن واحد إضافة إلى فخر الشاعر بنفسه أو بقومه.

نتجت هذه القصائد بسبب صراع داخلي عاشه الشاعر بين ما يفرضه عليه بلاط كافور الإخشيدي وبين ما يشعر به من فخر وكبر والشعور بالتفوق على الآخر فبعدما كان يمجد بكافور الإخشيدي نراه على العكس تماما يهجوه اشد الهجاء بسبب رفضه له فباتت قصائده تتمايل بين التقبل والرفض.وانطلاقا من ذلك يسعى هذا البحث إلى توضيح الهوية عند المتنبي ورفضه لتقبل الآخر المختلف عن طريق ذكر وتحليل ابيات شعرية لتوضيح شده تدهور العلاقة بين الشاعر وصاحب السلطة.وقد قُسم البحث إلى فصلين تناولت في الفصل الأول لمحه تاريخية تعريفيه عن المتنبي وكافور .والفصل الثاني تناولت فيه تعريف مصطلح الهوية والاختلاف مع ذكر شواهد شعرية لذلك وتضمن البحث ذكر الخاتمة واهم المصادر المعتمدة.

الفصل الأول: لمحة تاريخيه عن المتنبى وكافور.

أولا: المتنبي: اسمه ونشأته:

هو أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، المشهور بالمتنبي، وهو أحد أبرز شعراء العرب في العصر العباسي. ولد في الكوفة عام (٣٠٣) هـ، وهو من أهم الشعراء العباسيين وأكثرهم شهره ومن المقربين من الملوك والأمراء لهذا كان له أعداء كثر عملوا على تشويه تاريخه الأدبي فقيل إن أباه كان يعمل سقاء بالكوفة ظنا منهم إن هذه المهنة تجلب الذل لصاحبها والعكس خلاف ذلك ولم يكتفوا لهذا الحد بل اتهموه في نسبة للنيل منه لكن المتنبي لم يتفاخر بنسبه لا من جهة أبيه ولا من جهة أمه والدليل على ذلك قوله:

أرى الأجداد تغلبها كثيرا على الأولاد أخلاق اللئام
ولست بقانع من كل فضل بأن أعزي الى جدٍ همام (١)

كانت الكوفة مركز ثقافة نشطة فخالط العلماء والأدباء وانتفع منهم كثيرا، لازم دكاكين الوراقين حيث كانت مكانا يستقطب المثقفين والقراء، وعلى الرغم من عدم امتلاكه المال إلا أنه كان يتميز بذاكره جيده ساعدته على الحفظ. لم يستقر الشاعر في الكوفة كثيرا لإنه كان متنقلا بين عمله والبحث عن العلم والمعرفة وذهب للشام وفيها نشأ وتأدب.

لقبة وعلاقته بالأنا:

يعد لقب المتنبي من أكثر الألقاب إثارة للجدل والسخرية وقد قيل إنه لقب بذلك بسبب ادعائه النبوة في بادية السماوة في الكوفة، ودلاله ذلك في قوله:

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود (٢)

ترتب على هذا الادعاء أن قبض عليه وأعتقله أمير حمص ثم تاب المتنبي عن ترديده وعفا عنه.

وثمة رأيا آخر يرى أن هذا اللقب ليس بسبب ادعائه النبوة فحسب، وإنما لأنه أول من تنبَه إلى موهبة الشعرية وانفرد بها، وكان واثقا بقدرته وابداعه حتى وصل به الحال إلى جعل الشعر مقصورٌ عليه وحده.

سجن المتنبي لم يمنعه من مواصلة مشواره الشعري بل بعد خروجه منه كان يتردد على الأمراء إلى أن وصل لسيف الدولة الحمداني فمدحه واغدقه بالهدايا والعطايا، ويذكر أنه اكتسب الشهرة بسبب مدحه

الأمراء وجعلت من شعره يشيع بين العامة والخاصة. (٣)

كان المتنبي من أشد المعتزين بشجاعته وبسالته وبلاغته في كتابة الشعر فيرى أنه أشعر الشعراء (٣) ونجد ذلك جليا في الكثير من أشعاره حيث يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم (٤)

فهذا البيت يبرز لنا الأنا المتعالية لدى الشاعر فيرى أن ابياته تجاوزت حدود المعقول فهي التي تجعل الأعمى يبصر والأصم يسمع ظنا منه أن شهرته لا تحتاج لحواس لإدراكها.

أخلاقه:

كان المتنبي مضطربا لا يثبت على حال متلونا يتقلب موقفه بتقلب الظروف فنراه مادحا حينا وهاجيا حينا آخر، قلقا أقرب لأخلاق السوقة متقلبا قاسيا لا يعرف العفو ولايعفو عن أي شخص قريب له أو بعيد عنه مهما كان الذنب، اشتهر بنكرانه للجميل عمل على اشاعه القسوة والعنف صاحب طبع حاد اتسم بالقلق الداخلي، كان هجائه مقذعا يستخدم الفحش مشهورا بالبخل همه الدنيا مغرورا متكبرا يقلل من شأن الناس فأظهر العداوة للكتاب والأمراء والخلفاء. وعلى الرغم من كل ما ذكر إلا انه لم يعرف بسوء في حياته الخاصة فقيل إنه لم يشرب الخمر ألا مرات معدودة، ومرد كل هذه الصفات إلى البيئة التي عاش فيها والظروف التي فرضت عليه. (٥)

ثقافته وشعره:

اهتم والد المتنبي بتعليمه فكان يأخذه لحلقات العلم لتلقي العلوم مشافهة فذهب للباديه لصقل فصاحته فلم يكتفي بأخذ العلم من بادية الكوفة فقط بل كان يتردد للشام وأكثر الإقامة فيها أيضا جالس العلماء واستقى منهم العلم والمعرفة والبيان، تأثر المتنبي بالفلسفة وآراء المتفلسفين حتى بدت تظهر في أبياته وإن كان لا يؤمن بها علاوة على ذلك كان مولعا بقراءة دواوين الشعراء الفحول السابقين فكان يصحح ويعلق على أبياتهم.

أجمل لذا لم يستقر ولم يحصل على ما يطمح إليه.

أما من ناحية شعره فكانت رحلته طويله ومتعبه بدت منذ طفولته حيث كان يطمح بحياة وأناس أفضل وواقع

يمثل شعره في مرحلة صباه شعر شخص متمكن متمرس تنطلق منه كلمة الحق من ناحية الألفاظ والمعاني

لأنه تكلم عن الواقع بصدق فموهبة الشعرية يمكن أن نشبهها بالشمس التي تشرق وتبدد الظلام، فالشاعر

على الرغم من ضعف جسده وصغر سنه لكنه كان يمتلك عبقرية فذة.

نوع المتنبي في أغراضه الشعرية بين المدح والهجاء والفكاهة ومثال ذلك ما قاله في الرجلين اللذين قتلا جرذا وتباها في قتله وحجمه:

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا صريع العطب

رماه العامري والكناني وتلاه للوجه فعل العرب

كلا الرَجلينَ اتَلا قتله فأيكما غل حر السلب

وأيكما كان من خلفه فإن به عضة في الذنب (٦)

استطاع المتنبي طيلة فتره حياته من أن يتفوق على اقرانه من الشعراء فأثبت نفسه بجداره وتمكن من التقرب من الامراء والوصول إلى البلاط فنجده مادحا وله اشعارا في الحكم والرثاء ويميل للهجاء حينما تقتضيه الظروف. (٧)

وفاته:

توفى المتنبي سنه (٣٥٤هـ) عندما كان عائدا من بغداد إلى الكوفة وسبب وفاته حسب ما ذكر أنه هجا شخصا يدعى فاتك بن أبي جهل وكان هجائه فيه مفحشا فغضب عليه غضبا شديدا وتربص به فقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل هو وابنه وغلامه، وقبل مقتله حاول الفرار لكن غلامه أنشده بيته الشهير

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم (٨)

فخجل من أن يخالف ما قاله شعرا لأن البيت يمثل اعتزازه بنفسه وقدرته في القتال، فيرى أن الطبيعة ايضا تشهد بشجاعته وبسالته. فثبت واستمر في قتالهم حتى قُتل. وبذا يمثل لنا المتنبي أهمية الثبات على الكلمة والموقف وهذا يبين لنا هويته العربية، فالعربي يهتم لما يقول ويفعل فالكملة لديه سلاح ذو حدين إما تقتل صاحبها أو تنصره.

ثانيا: كافور الإخشيدي: اسمه ونسبه ولقائه بالمتنبي:

هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي الأمير المعروف، وهو صاحب المتنبي كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيد ملك مصر عام(٣١٢هـ) وأعطاه النسب وأعتقه فترقى عنده حتى ملك مصر في عام(٣٥٥هـ). التقى المتنبي بكافور عندما ذهب إلى مصر حاملا طموحا سياسيا اذ كان يرغب في نيل إمارة أو ولاية تحقيقا لما كان يرغب له في شبابه، فرأى أن كافور الإخشيدي هو الشخص الوحيد الذي يحقق له حلمه فمدحه لاستمالته، وعلى الرغم من إكرامه للمتنبي وتقريبه إليه لم يمنحه المنصب الذي يطمح إليه فصُدِم المتنبي بامتناعه عن ذلك عندما رأى كافور تعالي المتنبي وغروره وفخره بنفسه، وعاتبه البعض فقال لهم: يل القوم، من ادعى النبوة بعد محمد أما يدعي المملكة بعد كافور، فحسبكم. عندما سمع المتنبي توترت العلاقة بين الطرفين فتحول المدح إلى هجاء لاذع فكافوريات المتنبي مليئة بالتناقضات تجمع بين السخرية المخفية أو المستترة وراء حجاب وبين التهكم. انتهت العلاقة بين المتنبي وكافور فخرج من مجلسه وأراد ترك مصر لكن كافور أبى فتغافله المتنبي في ليلة عيد النحر حسب ما ذكر يريد الكوفة ومنها قصد عضد الدولة بوية بفارس ثم عاد لبغداد وخرج للكوفة عندما تيقن من استحاله تحقيق طموحه السياسي. (١٠)

صفاته:

اتسم عقل مدبر الدولة بالشجاعة والقوة وقد ووصفه الأدباء كثيرا فذكر الأتابكي نقلا عن الذهبي: إن كافورا تقدم عند الإخشيد صاحب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى إن صار من كبار القواد، كان كافور شجاعا مقداما جوادا يفضل على الفحول. (١١) كان سياسيا استطاع أن يفرض سيطرته على أجزاء من البلاد فامتد نفوذه من مصر إلى الشام والثغور والحجاز .كان يتخذ أسلوبا سياسيا حكيما يمكنه من تثبيت ملكه فعمل على إرضاء صاحب دولة المغرب للتمسك بملكه فهذه السياسة والعقل يتطلبان وزراء أذكياء حتى يُسيرون أمور الدولة فعين لذلك وزراء اشتهروا بالقوة والذكاء مثل أبي الفضل جعفر بن الفرات فدولة كافور قامت على السياسية والدهاء وقوة السلطان والساعد.أما في المجال الديني والعلمي فامتاز بعلمه وبصيرته بالقران الكريم وامور الدين حريصا على الجلوس مكثرا للصدقات حتى استغنى الناس في أيامه فاستخدم سياسة اقتصادية بما يوفر الراحة والاكتفاء للشعب غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجدا ويقول: اللهم لا تسلط عليَّ مخلوقا، اهتم ببناء المساجد والدور وكان كريما له مائدة كبيرة تسع الفقراء والمساكين والمحتاجين الذين ينزلون ساحته (١١) وكان مهتما بالعلم والعلماء عالما بالنحو واللغة والأدب وهذه المعرفة اكتسبها من المجالس الأدبية والنحوية التي كانت تعقد بمصر وكان يقرب إليه الشعراء ومن هنا جاءت علاقته بالمتنبي (١٢) التي تحولت فيما بعد لصراع برزت فيه الذات المتعالية تجاه سيطرة الحاكم القائمة على الاكتساب لا الوراثة.

توفى كافور سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقيل توفى يوم الأربعاء سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ودفن بمصرفي مقابر العسكر التي عرفت فيما بعد بالقرافة الصغرى. (١٣)

الفصل الثاني: الهوية والاختلاف في كافوريات المتنبي

أولا : الهوية في كافوريات المتنبي

تعريف الهوية لغةً: هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق. (١٤)

الهوية اصطلاحا: هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضتها طالما بقيت الذات على قيد الحياة فالهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب. (١٥)والهوية هي حقيقة الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية. (١٦)مرتبطة بطموحه واحساسه بالتفوق والاحقية في الحكم والصراع الداخلي بين طموحه وبين مواجهه الواقع فالهوية تعد عنصرا أساسيا للمتنبي لان أغلب شعره قائما على الأنا والذات المتعالية فالهوية عند المتنبي فنرى المتنبي يضخم من ذاته ويرى أنه شخصا استثنائيا لا يقارن بغيره فهو يقول:

وَإِذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهْيَ الشَّهادَةُ لِي بِأَنِّيَ كامِلُ (١٧)

فالشاعر في هذا البيت يدعي الكمال لنفسه مقابل نقص الآخرين. ويستمر في تأكيد هذا المعنى مصوراً لنا القوة والثبات تصويرا حسيا فيقول:

أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذا مَا زُوحِمَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ (١٨)

فالشاعر تجاوز حد المبالغة في الاستعلاء والشعور بالأنا من خلال تشبيه ذاته بصفات كونية فالصخرة تدل على الثبات والقوة والتماسك والجوزاء للدلالة على العلو والشموخ والرفعة. واستطاع المتنبي من تأكيد النزعة الاستعلائية مستخدما أسلوب الاستفهام على وجه الاستعلاء وتحقير كل شخص ليس من مستواه وذكر ذلك في قولة:

أيَّ محلٍ أرْتَقِي؟ أيَّ عظيمٍ أتَقِي؟

وكُلُّ ما قَدْ خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ (١٩)

فالشاعر ينكر وجود أي منافس له فهو لا يرى من يرقى لمكانته أو يكبل طموحه، وعلى الرغم من كل هذا الكبر والتعالي الذي اشتهر به المتنبي إلا أنه وصف الخذلان والإحسان بالمرارة قائلا:

ومَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا (٢٠)

فالشاعر هنا لا يعبر عن نفسه بل على العكس يصف نفسه ويشبهها بالماء النقي الذي لا يتغير طعمه ابدا لكن المريض لا يشعر بعذوبة هذا الماء بل يجده مراً وهذا يدل على فساد الإحساس الذي يكمن في الشخص نفسه لا في الأشياء من حوله فوصف ذاته المنكسرة من الداخل، وعلى الرغم من شعور المتنبي بالخذلان إلا إنه لا يتنازل عن تعاليه فيلقي اللوم على كافور فجعلة سببا في توتر العلاقة بينها لعدم وعيه في تلقي شروط المتنبي. ولم يقتصر فخر المتنبي بنفسه فقط بل افتخر بقومه ايضاً معتزاً بالهوية العربية واساس العرب وهويتهم هي اللغة الفصحى ويتضح ذلك في قوله:

وبِهِم فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ (٢١)

فالشاعر يفخر بقومه لشده فصاحتهم إضافة إلى أنهم أصحاب مواقف مشرفة فهم ملجأ للمذنب وبهم يستغيث المطرود. وقال أيضا:

وماذا بِمِصرَ مِنَ المُضحِكاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكا (٢٢)

عبر الشاعر عن غياب الهوية العربية والشعور بالأسى بسبب تولي السلطة من هو ليس بكفء لها فهو يعتبر كافور دخيل على العرب فاستخدم أسلوب الطباق ليعبر عن التناقض الذي يعيشه العرب فالملك بيد من هو ليس أهل له .

ويقول أيضا:

لتعلمَ مِصرُ ومَنْ بالعِرَاقِ ومَنْ بالعَواصِمِ أنّي الفَتَى (٢٣)

هذا البيت يفخر الشاعر بنفسه كونه عربي بغدادي الأصل حيث الثقافة والعلم ويعدد البلدان للدلالة على شهرته ومكانته وقولة: أني الفتى أي: الفتى الكامل وهذا ما يعزز الهوية عنده.

وأجمل بيت قاله المتنبي يصف فيه اخلاق العرب خير وصف هو:

يَهُونُ عليْنَا أنْ تُصابَ جُسُومُنَا وَتَسْلم أعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ (٢٤)

ذكر الشاعر عدة خِصال وهي الكرامة والعزة والشجاعة وحفظ العرض ورفع راية العلم عالية فهو يرى أن حفظ العرض والدفاع عن الشرف من أهم القيم التي يتمسك بها العربي، ولا يقتصر ذلك على الفرد بل يشمل الجماعة فجعل الدفاع عن العرض أهمية أساسيه للشعور بالإنتماء فهو يرفض الذل والخضوع لإن في ذلك طمسا للهوية فالشاعر جعل الشعور بالكرامة ليست اختيار بل شرط أساسي لبقاء الإنسان. فمن الطبيعي أن

كل إنسان يتعرض لهجوم او حرب اول ما يفكر به هو سلامه نفسه وجسده لكن الشاعر هنا جسد لنا الهوية العربية والاختلاف عن الآخر فهو يهون عليه أن يصاب جسده ويتقطع مقابل أن يحافظ على أهله وعِرضه لأن العربي غيور على أهله إضافة إلى أن العدو إذا أراد تدمير الدول يبدأ بالعلم والعلماء .ويقول أيضا:

تُهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا (٢٥)

في هذا البيت فخر صريح بأبناء قومه من قبيلة نِزار وبسيف الدولة الذي هو عربي الأصل فيقول عجبا للناس التي تهاب سيوف الهند وهي فقط حدائد فما بالك لو كانت تلك السيوف عربية من قبيلة نزار فالأحق والأولى أن تكون الهيبة لقبيلة نِزار تلك القبيلة العربية التي مكانتها وقوتها تفوق قوة وصلابة السيف الهندي المشهور.

يتضح لنا فيما سبق أن الهوية عند المتنبي ليست ادعاء فقط بل هي أساس ثابت عبر عنه من خلال اللغة والموقف والموازنة بين الذات والآخر. فالشاعر جعل من الهوية رد فعل لكل ماشعر به من تهميش وخاصه علاقته مع كافور فوضح لنا الشاعر بأبياته الشعرية تفوقة على الآخر المختلف مستندا بذلك على القيم العربية الاصلية التي يفتقر إليها خصمه حسب ادعائه.

ثانياً: الاختلاف في كافوريات المتنبي

الاختلاف لغة: هو أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غير طريق الآخر في حالة أو هوله، والخلاف أعم من الضد. (٢٦)

اصطلاحا: هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل. (٢٧)

انطلقت نظرة الاختلاف بعد اصطدام الطموح بالسلطة فتحول المدح إلى هجاء وذكر العيوب، ومن أهم صور الهجاء تلك القائمة على الفوارق الطبقية كما في قوله:

الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ

لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ (٢٨)

هذا البيت هجاء صريح لكافور من خلال ذكر الفوارق الطبقية فهو ينفي الأخوة بينهما فكيف لعبد أن يكون قرينا لحر ويساويه في المنزلة، وجعل من العصا أساسا وذلك لفرض السيطرة والاحترام إضافة إلى أنها مصدر للإهانة فالعبد لا يشترى إلا ومعه عصا حتى لا يخالف أوامر صاحبه وأنه وصفهم بالنجاسة لأنهم يتمردون على النعمة وصاحبها والمناكيد هم قليلوا الخير. ويقول أيضا:

بِمَّ التَّعَلّلُ لا أَهْلٌ وَلا وَطَنٌ وَلا نَدِيمٌ وَلا كأسٌ وَلا سَكَنُ (٢٩)

الشاعر هنا لا يختلف مع كافور فقط بل مع الناس عامه فصور نفسه كالمغترب بدون الاهل والوطن على الرغم من وجوده بينهم فهو يعترض على الأنظمة والقوانين الخالية من الحكمة والعدالة والوعي الذي يرى نفسه هو أهلٌ له على الرغم من حرمانه منه.

ويصف كافور قائلا:

وَتَعجِبُني رِجْلا كَ في النَّعلِ إِنَّني رأيتُكَ ذا نَعلٍ وإِنْ كُنتَ حَافيا

وَإِنَّكَ لا تَدري أَلونُكَ أسودٌ مِنَ الجَهلِ أم قَد صَارَ أبيضَ صَافِيا (٣٠)

فالشاعر هنا يصف عيوب خصمه الخُلقية وهذا الأمر مرفوض شرعا. فيعيب على كافور صلابة جلدة وتيبسه وكثرة تشققه فهو يضحك عندما يرى قدماه فكأنه يلبس النعل وهو حافي لخشونة قدمه، ويستمر في ذلك واصفا جهله بلون بشرته هل هي حالكة السواد أم ناصعة البياض فهو أراد أيضا أن يصف بلادته وقلة وعيه بأمور الحكم والسلطة لكنه عندما جلس مجلس الملك توهم بأنه منهم وبدا يتشبه بخِصال الشرفاء والعظماء أضافة إلى جهله بأسلوب المدح والهجاء وعدم ادراكه لما بين السطور وعدم معرفته بقواعد اللغة العربية واساليبها. ويستمر بذكر عيوبه الخلقية قائلا:

وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ

جَوْعانُ يأكلُ مِنْ زَادِي ويُمسِكُني لِكَي يُقالَ عَظِيمُ القدرِ مَقصُودُ (٣١)

وهنا يصف شفة كافور لإنه كما قيل كان شفتاه سوداء اللون ومثقوبة ووصفه بإنه مجرد عبد لا نفع منه فهو لا تطيعه إلا العضاريط وهم الفقراء الذين يعملون من أجل الحصول على الطعام فقط، ويقول أيضا أن كافور يماشي المتنبي حتى يعلو شأنه ويقال عنه ذو قدر عظيم فهو لا شأن له لولا مدح المتنبي.

ويستمر في هجاء كافور قائلا:

تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ والعِبدَّى عَلينَا والمَوالِي والصَّمِيم
فَمَا أَدْرِي إذا دَاءٌ حَديثٌ أصابَ النَّاسَ أمْ دَاءٌ قديمُ
حَصَلْتُ بأرْضِ مَصْرَ عَلى عَبِيدٍ كأنَّ الحُرَّ بينَهُم يَتيمُ
كأنَّ الأسْوَدَ اللَّابِيَّ فيهمْ غُرَابٌ حَوْله رَخَمٌ وَبُومُ

يقول المتنبي إن الفوارق انمحت واندثرت حتى تساوى العبد والخدم مع الموالي ويقصد هنا أن الناس لا تهتم للنسب والشرف فجعلوا العبيد والاحرار بمنزله واحده والمراد هنا تفضيل كافور عليه وتسلمه السلطة فمن وجهه نظره أن العدل قد ضاع لإن الجميع أصبحوا في مستوى واحد، ويقول إن سلطه كافور الفاسدة أدت إلى ضياع الهوية بسبب الاهتمام بالأخر المختلف مما أدى إلى شيوع الخراب فساوى بين عامة الناس والبهائم لعدم معرفة أهمية خطورة الوضع في مصر.

ثم ينتقل بعد ذلك ليذكر علو شأنه ويبرر سبب هجاءه لكافور قائلا:

إذا أتَتْ الإساءةُ مِنْ لَئِيمٍ ولَمْ أُلُمَ المسيء فَمَنْ ألومُ (٣٢)

يرى الشاعر أن الإساءة إذا أتت من لئيم وضيع لاقدر له ولا مكانه فيجب أن أهجوه وأضع له حدا كالسيف بل إذا لم أهجو اللئيم فمن اهجو؟ فيرى أن قدرته الشعرية ومهارته في استخدام الهجاء اللاذع يجب أن يسلط على كافور وأمثاله، وهنا يبرز الاختلاف.

يتضح مما سبق إنّ الكافوريات ليست مجرد أبيات مدح تحولت إلى هجاء بل هي تعبير عن واقع مؤلم وخذلان شَعَرَ به المتنبي بعدما اصطدم بشخص لم يستوعب طموحه وكِبره.

وبذا فالشعر وسيله أساسيا لتحويل التجارب الإنسانية إلى خطاب شعري وضح فيه الشاعر براعته وتفوقه أضافة إلى التمسك بالهوية، والكافوريات خير دليل على ذلك لما ذكر فيها الشاعر من أبياتٍ مثلت الصراع بين الهوية والاختلاف إضافة إلى عدم تقبله للآخر المختلف ليبقى هذا النمط الشعري شاهداً على قوة الأنا المتعالية لدى المتنبي.

الخاتمة:

في نهاية بحثي المسمى (الهوية والاختلاف في كافوريات المتنبي) لا بد لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وسأوردها في خاتمة موجزة وهي:

١-أثبت البحث أن كافوريات المتنبي عباره عن صراعا بين الذات المتكبرة المتعالية وبين الاخر المختلف وهو كافور.

٢- برزت الكافوريات مدى وعي المتنبي بذاته فمن خلالها تمكن من إبراز مكانته وقوته.

٣-ظهر الخلاف في اشعاره بوصفه موقفا قائما على القيم والمبادئ متخذا من الفروق الاجتماعية والشكلية وسيله لتقليل شأن الخصم.

٤-تمكن المتنبي من استخدام الأساليب البلاغية التي ساعدته على جعل كافورياته تصلح للمدح والهجاء في وقت واحد.

٥-صورت كافوريات المتنبي مدى تدهور الأوضاع السياسية وسوء السلطة والإدارة في العصر العباسي لما قدمه من رؤية نقدية في أبياته.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الألباء في طبقات الشعراء لعبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري، تحقيق:إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار،الزرقاء-الأردن، ط: الثالثة،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم الهاشمي، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنه من الجامعيين، الناشر:مؤسسة المعارف،بيروت، عدد الأجزاء:٢

٣-شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، الناشر مؤسسة هنداوي-٢٠١٧

٤- شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنه ٤٧١هـ، دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن دخيل ربَّه المطرفي،مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ.٢٠٢٤ م

٥-- قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء للشيخ عبد الرحمن أفندى الشهير بحسام زاده، تحقيق وتعليق حمدى الشيخ، كلية الآداب-جامعه بنها ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦- الكافوريات والعضديات في شعر المتنبي دراسة أدبية نقدية بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، إعداد الطالب: يوسف محمد أبكر أحمد، إشراف البروفيسور: بابكر البدوي دشين (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، جامعة أم درمان الإسلامية.

٧- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٨- المتنبي حياته وخلقة وشعرة واسلوبه بقلم محمد كمال حلمي بك سنه ١٣٣٩هـ-١٩٢١م إدارة مكتب ومطبعة الشباب مكتبة لسان العرب.

٩--مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للدكتور محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م

١٠- معجم التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ-١٤١٣م)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

١١- معجم الصواب اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، عدد الأجزاء:٢

١٢-- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت-لبنان.

١٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر، مصطفى عبد القادر، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت،ط:الأولى،عدد الأجراء: ١٩

١٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن، الناشر: وزارة الثقافة مصر، عدد الأجزاء:١٦

١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبن خلكان، تحقيق: إحسان عباس،الناشر: دار صادر بيروت، عدد الأجزاء:٧.

الهوامش

(١) شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، الناشر مؤسسة هنداوي-٢٠١٧ (١٢٥٨).

(٢) شرح ديوان المتنبي (٣٨٦).

(٣) ينظر: الألباء في طبقات الشعراء لعبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري، تحقيق:إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار،الزرقاء-الأردن،ط:الثالثة،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م (٢١٩)، قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء للشيخ عبد الرحمن أفندى الشهير بحسام زاده، تحقيق وتعليق حمدى الشيخ، كلية الآداب- جامعه بنها ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م (١٣-١٤).

(٤) شرح ديوان المتنبي (١٢٢٨).

(٥) ينظر: المتنبي حياته وخلقة وشعرة واسلوبه بقلم محمد كمال حلمي بك سنه ١٣٣٩هـ-١٩٢١م إدارة مكتب ومطبعة الشباب مكتبة لسان العرب (١٤).

(٦) شرح ديوان المتنبي (١٨٧).

(٧) ينظر: الكافوريات والعضديات في شعر المتنبي دراسة أدبيه للطالب يوسف محمد أبكر أحمد (٢٢-٢٧).

(٨) شرح ديوان المتنبي (١٢٢٨).وقيل أيضا إنه كان يمتلك أموالا كثيره فرحل من شيراز فخرج عليه الأعراب فحاربهم فقتلوه هو وابنه وغلامه (٩) فغاب عنا المتنبي جسدا لكن اشعاره بقت خالده حتى عصرنا هذا.

(٩) ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للدكتور أحمد بن إبراهيم (١٩٦/٢)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر، مصطفى عبد القادر، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت،ط:الأولى،عدد الأجراء: ١٩، (٦٦/١٤).

(١٠) ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم الهاشمي، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنه من الجامعيين، الناشر:مؤسسة المعارف،بيروت، عدد الأجزاء: ٢(١٩٦/٢).

(١١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن، الناشر: وزارة الثقافة مصر، عدد الأجزاء: ١٦ (٦/٤).

(١٢) ينظر: الكافوريات والعضديات في شعر المتنبي رسالة دكتوراة في الأدب والنقد للطالب يوسف محمد أبكر أحمد (٢٨-٣٤).

(١٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبن خلكان، تحقيق: إحسان عباس،الناشر: دار صادر بيروت، عدد الأجزاء:٧، (١٠٥/٤).

(١٤) كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (٢٥٧).

(١٥) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للدكتور محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م (٦).

(١٦) معجم الصواب اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، عدد الأجزاء:٢ (٧٨٢/١).

(١٧) شرح ديوان المتنبي (٩٤٤).

(١٨) المصدر نفسه (١١٩)

(١٩) شرح ديوان المتنبي (٨٠٧)

(٢٠) شرح ديوان المتنبي (٩٣٩).

(٢١) شرح ديوان المتنبي (٣٨٦).

(٢٢) شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنه ٤٧١هـ، دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن دخيل ربَّه المطرفي،مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ .٢٠٢٤ م، (٢٤٧).

(٢٣) شرح ديوان المتنبي للجرجاني (٢٤٤).

(٢٤) شرح ديوان المتنبي (٩٢٢).

(٢٥) شرح ديوان المتنبي (١٦٤).

(٢٦) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت-لبنان، (١٥٦).

(٢٧) معجم التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ-١٤١٣م)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (٨٩).

(٢٨) شرح ديوان المتنبي (٤٠٢).

(٢٩) شرح ديوان المتنبي (١٤٩٥).

(٣٠) شرح ديوان المتنبي (١٦٠٧).

(٣١) شرح ديوان المتنبي (٤٠٣).

(٣٢) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي (١٢٦٠).